الفصل الثالث

لقاء الإسلام والآخر

obeikandl.com

obeikandl.com

نجحنا في اللقاء الأول وفشلنا في الثاني

يتمثّل نجاح المسلمين في اللقاء الأول بتمكّنهم من إقامة دولة إسلامية ومن استمرار حكمهم وبسط سيطرتهم طوال قرون. وأثناء ذلك نجحوا في التحاور مع الغرب المسيحي ومع الأقليات اليهودية، وفي تكوين فكر وثقافة مشرقة وفي مدّ ازدهار واسع في تلك البقاع.

لم يكن المسلمون الذين قاموا بالفتوحات الكبيرة يحملون مؤثرات العقد التي نحملها نحن اليوم أي لم يكونوا قد ابتلوا بالعقدة التي نطلق عليها اسم عقدة الأندلس، ولذلك فقد كانوا أكثر تسامحاً وانفتاحاً على الآخر، وكانوا محاورين حقيقيين للآخر مهما كان انتماؤه. لكننا اليوم وبفضل عقدة الأندلس والتفرعات التي نشأت عنها صرنا أقل انفتاحاً وصار فينا من هو أكثر تطرفاً وعداءً للغرب.

خاض المسلمون تجارب التقاء عديدة مع الآخر غير المسلم. وكانت اللقاءات القديمة ناجحة ومفيدة ونتج عنها تحاور إسلامي حضاري مع الآخر واعتراف بثقافته وحضارته. واستفادة من نتاجه وإرثه وفكره. فقد التقى الفاتحون العرب المسلمون مع حضارة فارس ومع الشعوب الشرق آسيوية. وعاش العرب المسلمون الأوائل في بلدان بعيدة مثل أندونيسيا وجنوب الدول الروسية والهند وباكستان وغيرها وكان التقاء الأوروبيين الأول في غزو المسلمين لأوروبا واستمرار سيطرتهم طوال سبعة قرون على مناطق واسعة منها، واندحارهم عنها بعد سقوط غرناطة.. بعدها قام الغرب المسيحي بإعدام الإسلام وإزالته من أوروبا كلها.كانت تلك التجربة الأولى، ولعلّ استمرارها طوال سبعة قرون لايجعلها فاشلة. بل كانت ناجحة على كافة الأصعدة.

والتجربة الثانية بدأت بأعمال هجرة فردية إلى الدول الغربية. فقبلها الغرب ورحبّ بها طوال القرن العشرين كله. ونتيجة لتلك الهجرات أصبح المسلمون كياناً قوياً في تلك البلدان، وأصبح الإسلام ديانة أوروبية. وأصبح الدين الثاني بعد المسيحية. وبلغ عدد المسلمين في أوروبا كلها خمسة عشر مليوناً، وفي فرنسا وحدها خمسة ملايين مسلم تقريباً. فهل سيفشل المشروع الإسلامي الثاني في أوروبا ؟ .

obeikandi.com

واذا ما فشلت التجربة الثانية هذه فسنكون مضطرين لطرح سؤال عريض وخطير يقول:

ألا يستطيع المسلمون اليوم أن يتحاوروا مع الغرب؟.

لقد كان اللقاء الأول للإسلام مع الغرب قائماً على صفحة بيضاء ليس فيها سابقة مؤلمة ولذلك كان ناجحاً. أما اللقاء الجديد الثاني فقد شابته عقدة الماضي الأندلسي والتي ارتبطت بالحروب الصليبية المريرة والغزوات الغربية الكثيرة للبلدان الإسلامية ولهذه الأسباب فلم ينجح اللقاء الثاني حتى يومنا هذا.

وتضاف إلى أسباب الفشل الحاضر في العلاقة بين الإسلام والغرب أن الغرب نفسه مريض الماضي ومريض العلاقة القديمة. وأنه مازال يتصرف بموجب مرضه وخشيته من مذبحة موريكوس جديدة يباد فيها المسلمون الغربيون بمن فيهم أبناء الغرب نفسه وهم المسيحيون الذين يتحولون إلى الإسلام.

تجربة الممالك العربية

حكم المسلمون السنّة بلاد الأندلس طوال سبعة قرون، وخلالها حصل التفاعل الفكري والديني والاجتماعي بين الشعوب العربية والإسلامية من جهة، وبين الغرب المسيحي من جهة أخرى، وكانت تلك هي التجربة الأولى بالنسبة لهذين الشعبين. وقد بلغ هذا التفاعل أوجه عندما دخلت في دين الإسلام أفواج كثيرة من مسيحيي الغرب، وعندما تطور فكر أبناء الشرق فتمت صياغة علوم كثيرة جديدة، ومنها هندسة عمارة جديدة وثقافة أدبية وعامة تمثلت بالشعر والفن والموسيقا وغيرها، وبلغت تلك التفاعلات أوجها في نتاج فكري وفلسفي:تمثّل ذلك في ابن باجة: الذي قال بنظام العزلة والوحدة مع الكتب والفلسفة. وابن طفيل الذي أحرقت كتبه في النهاية ولم يبق منها الا حي بن يقظان. وابن رشد الأندلسي، الذي اعتمد على الإسلام كعقيدة دينية سماوية، وعلى الفكر اليوناني كموروث غربي إنساني عريق. وبنفس الوقت فقد سخّر الحاضر الذي كان يشهده وهو التحاور الإسلامي مع الغرب ومع المسيحية الغربية.وصاغ ابن رشد فكراً وفلسفة استطاع بها أن يكون

فيلسوف الغرب ومنظر الفلسفة الأوروبية التي تلته. وبنفس الوقت فقد حافظ على عقيدته كمسلم سني محلل لفكر ابن تيمية وأبي حنيفة. وهنا لابد من الإشارة إلى تسخيره لفكر ابن تيمية وأبي حنيفة تسخيراً حضارياً فقد توصل إلى بناء فلسفة حضارية، ولم يتوصل من خلالهما إلى استبعاد الغرب والمسيحية ولا إلى معاداتهما، كما تفعل السلفية المعاصرة. كان ابن رشد قاضي القضاة في عصره، وقد منحته السلطة حرية التفكير والبحث والتوصل إلى نتائج، فخالف ابن سينا الذي جعل الفلسفة دينية، وقام ابن رشد بفصل الدين عن الفلسفة. وطالب السلطة بإجراء إصلاحات سياسية. ودينية وقانونية. لقد فرض على الجميع من قبل السلطة، ولذلك تمكّن من التطور في البحث .كان مفكراً في مجالات متنوعة، السلطة، الدين، اللاهوت. وكانت الفلسفة بالنسبة له إلزامية. وعندما فقد دعم السلطة له فقد مكانته ونتاجه الجديد. وتوقف عمله. وفي الأندلس أيضاً ظهر ابن ميمون، صاحب كتاب دلالة الحائرين، وكان يجمع الأساسي والجوهري بغية إدخال العلم إلى العالم.وحاول أن يوفّق بين العلم والحكمة.

وعندما توقف ذلك النتاج الفكري المميز بدأت العلاقة بين الإسلام والمسيحية بالتدهور. واستمرّ هذا التدهور حتى عصرنا الحديث.

وبعدما قام الغرب بطرد وإبادة المسلمين، قام بتطهير المجتمع الغربي من الإسلام. وحصلت أعمال إبادة بشعة للمسلمين العرب والغربيين وعاد من أراد النجاة بنفسه إلى الديانة المسيحية. كانت نهاية التجربة مؤلمة للمسلمين في أوروبا. وكانت نتائجها مؤلمة بالطبع. ومن المفيد أن نكتشف بأن محاولة إبادة الإسلام في أوروبا آنذاك لم تنجح، لأنهم كانوا يبيدون الكيان الملموس والمرئي الذي هو المسلم بذاته. لكن عقيدة هذا المسلم ونتاجه قد تغلغلا في العقول والنفوس الغربية، فأصبح الإسلام جزءاً من التراث والموروث الغربي الحتمي ولم يكن من الممكن إزالته.

وبعد ذلك بدأ الغرب بصياغة تركيب جديد للكيان الغربي بشكل عام. فمن ناحية الفكر الفلسفي تم الاعتماد على نتاج ابن رشد وتطوير الفكر الغربي الذي خطا خطوات كبيرة وذهب إلى مسافات بعيدة.

obeikandl.com

ثم قام الغرب بصياغة المسيحية نفسها كديانة وعقيدة. فانقسمت الكنيسة على نفسها عدة انقسامات.وبشكل عام تمت صياغة مسيحية تعتمد على مبادئ إسلامية كثيرة. فقد استعار الغرب المسيحي من الإسلام قسماً من العقائد والشرائع والأخلاقيات، واستعار أيضاً مفاهيم الحلال والحرام.وأضافها إلى مسيحيته مع حفاظه على الصيغة الرئيسية والشكل العام لديانته المسيحية.وفي هذه الصيغة حافظ على عقيدة التثليث وعقيدة أن المسيح ابن الله رغم أن بعض المجتهدين المسيحيين أخذوا آنذاك بالرأي الإسلامي كله الذي يقول بنبوة المسيح وبطبيعته البشرية الخالصة.

إن التجربة الإسلامية الأولى في أوروبا كانت أنجح بكثير من التجربة الإسلامية الثانية فيها، فقد استمرت التجربة الأولى سبعة قرون، أي مايعادل نصف العمر الزمني لرسالة الإسلام منذ ظهورها. بينما لم يمض على التجربة الثانية قرن كامل وبدأت تشيع مظاهر رفض المسلمين داخل المجتمع الأوروبي. ونسمع كل يوم عن اعتقالات ومحاكمات للمسلمين، وعن طرد لآخرين وإغراق لسفن تحمل مهاجرين مسلمين.

إن أحد أهم أسباب فشلنا في اللقاء الثاني مع الغرب هو عناد الغرب نفسه بشأن المحاورة مع المسلمين. وثبات الغرب على مواقفه القديمة المعادية للإسلام. ورسوخ عقدة الغرب من المسلمين وتعامله معنا بموجبها. فلسنا وحدنا من يحمل مسؤولية الفشل في المحاورة الجديدة بل إننا نحن والغرب نتحمل المسؤولية بالتساوي.

تسامح مسلمي الأندلس

اتسم مسلمو الأندلس بالانفتاح الحضاري الواسع على الآخر، وبالتسامح وبالقابلية للاندماج الاجتماعي والثقافي والفكري.وللتعرف على ذلك الانفتاح نتصفح كتاب ثقافة التسامح في اسبانيا الوسيطة الذي صدر في العام ٢٠٠٢، لمؤلفته الكاتبة الاسبانية مينوكال. التي نعتبرها شاهداً أوروبياً مسيحياً على ازدهار الحضارة الإسلامية الأندلسية. إذ تصرّ المؤلفة على أن الحداثة الأوروبية تعود في

openkamar.com

كثير من مظاهرها وأفكارها إلى ما قدمته الأندلس من نموذج حضاري وإنساني، وترى أن تعايش الديانات السماوية الثلاث في ظل الإسلام بالأندلس العربية يظل حلماً إنسانياً مفتوحاً على المستقبل. وتمتد الفترة التي تعرضها المؤلفة من منتصف القرن الثامن الميلادي إلى بداية القرن الثالث عشر، .وتنطلق المؤلفة من افتراض أن استقرار الأمويين بأوروبا يعتبر حدثاً حاسماً أسّس أوروبا الحديثة وصنعها صنعاً، وتتوقف الكاتبة أمام أشكال التأثير التي مارستها الحضارة العربية على العموم والأموية على الخصوص، الغنية والمركبة والفريدة في نوعها، في الثقافة الأوروبية الحديثة، ومن خلالها في حضارة العالم بأسره. وتتحدث عن الحوار والتسامح بين الديانات الثلاث التي تعايشت في الأندلس آنذاك، ومن التساكن الذي غلب على تجاوز القيم الثقافية المتنافرة والمنتمية إلى شعوب وجماعات إثنية متنوعة.

وتعتبر أن قرطبة الإسلامية كانت عاصمة العالم. وتصف غناها المذهل وحماماتها العمومية التسعمائة، وحوانيتها التي تصل إلى عشرات الألوف، ومساجدها التي بلغت الألوف، وماءها المسكوب في القنوات، وشوارعها المبلطة. كانت قرطبة جوهرة العالم الساطعة التي تلمع في الغرب، مدينة النبل، معروفة بثرواتها وبكبريائها، يحتفى بها لملاذها ومتعها، متألقة في كل شيء، لامعة على الخصوص بالعلوم العقلية السبعة.

وتقول الكاتبة وهي تحدثنا عن إنشاء لؤلؤة قرطبة ومسجدها "إن مشروع قرطبة والأندلس كان يتمثل في السعي إلى إعادة إنتاج ما دمر في سوريا، وهذا يفيدنا كثيراً في فهم انشغال الأمويين بالحفاظ على هذه الدولة وتعددها الإثني والديني ."

وتنقل الكاتبة نصاً لبول أليفار القرطبي المسيحي يقول فيه: "يعشق المسيحيون قراءة الأشعار والقصائد العربية، ويدرسون الفقهاء والفلاسفة العرب، لا من أجل الرد عليهم أو مجادلتهم، وإنما من أجل اكتساب عربية جيدة وأنيقة .هل يوجد من بين غير المتدينين من مازال يستطيع قراءة الحواشي على الكتابات المقدسة باللاتينية، أو كيف يعكف على دراسة الأناجيل أو الأنبياء والدعاة والمبشرين؟

للأسف، فبحماس يقرأ الشبان المسيحيون ويدرسون الكتب العربية، إنهم يصرفون أموالاً طائلة في جمع مكتبات هائلة. يحتقرون الأدب المسيحي، ويعتبرونه غير جدير بالاهتمام. ومن فرط ذلك نسوا لغتهم. فمقابل كل رجل قادر على كتابة رسالة باللاتينية، هناك ألف يتحدثون العربية بأناقة، وينظمون بهذه اللغة الأشعار.

وإن ظاهرة تعلم العربية إلى حد الإتقان أدّى إلى الاعتناق الكثيف للإسلام، إذ كانت جموع غفيرة تغادر الكنيسة وتنضم إلى الدين الجديد. وتصاعد اعتناق الدين الجديد وتعلّم اللغة العربية الفاتنة حتى تعربت المسيحية واليهودية بكتبها المقدسة وصلواتها الخاصة، فأطلق العرب على هؤلاء اسم "المستعربين". وبفضل التلاقح والافتتان تولدت لغة جديدة هي "الموزاراب" وتسللت إلى البيوت منتقلة من جيل إلى جيل ، فعاشت "الموزاراب" اللغة الرومانية لمسيحيي الأندلس في حضن دار الإسلام، وكانت تحاذي العربية وتحاورها باستمرار.

ويتحدث بعض اليهود المعاصرين اليوم وهم جماعات دينية معادية للصهيونية عن ازدهار اليهود في الأندلس الإسلامي ويصفون تلك المرحلة بأنها أفضل مرحلة ازدهار عرفها اليهود طوال تاريخهم الطويل. وتكتشف الكاتبة الاسبانية ازدهار اليهود في قرطبة الإسلامية وتقول:اختار اليهود الأندلسيون طريق الاندماج في الثقافة العربية الإسلامية، وانفتح الباب على مصراعيه أمام وجوههم، حتى بلغوا أعلى المراتب عن جدارة وكفاءة، وبرز منهم من وصل منصب وزير الخليفة. ويعتبر حسداي بن شبروت نموذجاً لثقافة الاندماج والتسامح، وهذا بعد أن كانوا يحتلون أسفل المراتب الاجتماعية والثقافية في عهد القوط المسيحيين .ومع ذلك لم تؤاخذ العشيرة اليهودية حسداي على النجاح الذي حققه داخل الخلافة، بل بقي "ناصي" العشيرة وأميرها، وكان يرتفع شأنه في كل سنة، فعاش اليهود حالة التفتح والرخاء التامين. ومن مظاهر تأثير الاستعراب في الثقافة اليهودية والديانة اليهودية عودة الحياة للغة العبرية وخروجها للمرة الأولى منذ آلاف السنين من المعابد لتصبح متعددة الاستعمال، وتنظيم شعر حي يفيض بالعذوبة والجمال. فقد تأثّر اليهود بشيوع اللغة العربية وباعتبارها لغة القرآن ولغة اللسان الدارج في وقت واحد. اكتشفوا من جديد

موروثهم الخاص الذي كان مستتراً منذ زمن، ورأوا أن لغة التوراة تستحق، مثل لغة المسلمين أن تتجاوز حدود الصلاة. فتجاوزت الصلاة إلى الغزل والحب وغير ذلك. فظهرت لأول مرة في تاريخ اليهود أشعار حب وغزل باللغة العبرية. واعتبر اليهود هذه العبرية لغة مقدسة رغم أنها لم تكن فيما مضى لغة التوراة. لقد حكم مسلمو الأندلس بالإسلام السني الذي ننتمي نحن إليه اليوم، وكانوا أكثر انفتاحاً على الآخر منّا نحن المسلمين المعاصرين. فلماذا تراجعت فينا مفاهيم التحاور والتمازج والانفتاح؟ أليس لأننا نبني أحكامنا على أسس غير متينة؟ هذه الأسس التي هي أحداث مرحلية غير ثابتة.!. هذه التي تتمثّل بالصراع العربي الإسرائيلي ودعم حكومات الغرب لإسرائيل واحتلال جيوش الغرب للعراق وضغوطهم على الكثير من الدول الإسلامية: هذه الأحداث عنونت طريقة الأسس الثابتة عند المسلمين في تعاملهم مع الغرب. لكنّ الأسس الثابتة يجب أن تقوم على قواعد وقوانين إسلامية ثابتة. كان العصر الأندلسي عصراً ذهبياً بالنسبة للمسلمين وللمسيحيين ولليهود أيضاً. والفضل في زهائه لايعود إلى المسلمين وحدهم بل أيضاً إلى المسيحيين الأوروبيين أنفسهم الذين كانوا على درجة من الارتقاء تفوق ارتقاء الأوروبيين المعاصرين. والذين تفهموا أهمية الحوار والتفاعل الحضاري وحصدوا ثمراته. فقد أقبل الإسبان آنذاك على الإسلام بكثرة. وكان إسلامهم متحضراً ينمّ عن تفهمهم للديانات السماوية لدرجة أنهم خلطوا بين الإسلام والمسيحية فظهر بعضهم كأشخاص يعتنقون الديانتين ويؤمنون بهما ويمارسون الطقوس والعادات والعبادات والمعاملات بصفتين دينيتين في وقت واحد. وعندما همّ المسيحيون المتعصبون بذبح مسلمي إسبانيا والتخلّص منهم نهائياً. تقول وثائق المحاكمات إنه كان من العسير على القضاة معرفة المسيحي من المسلم. فالمسلمون الذين أريد القضاء عليهم تبين أنهم مازالوا أيضاً مسيحيين وأنهم لم يختلفوا في شيء يمكن ملاحظته عن مواطنيهم المسيحيين. ورغم تلك الشبهة فقد كان يباد بالمحرقة أو يقطع رؤوس كل من كان مشبوهاً بانتمائه للإسلام. وذلك الظلم الكبير الذي مارسته المسيحية المتطرفة آنذاك لجم أفواه الأوروبيين طوال قرون عن ذكر كلمة إسلام. فوقع الغرب في عقدة الخوف من الإسلام ومن عودته وتمدده.

الحوار الإسلامي القديم مع الغرب

يمكننا الوقوف على النتاج الفكري والأدبي والفلسفي، لمحاولة الكشف عن النمط العلائقى الذى تشكَّلت منه الروابط الثقافية، بين الثقافة "العربية الكلاسيكية" وثقافات الشعوب الأخرى، خلال عصور الازدهار، لنجد أنّ النتائج المتمخضة عنها، تفصح عن علاقة فعليّة قويّة وحقيقيّة ربطت الذات العربية فى تلك الآونة بالذوات الحضاريّة الأخرى، ولعلّ الانفتاح الذهني الذي كان يتمتع به أجدادنا قد حرمنا منه نحن الأحفاد المعاصرين.

لأنهم كانوا يواجهون الآخر بدون عقدة ولأننا نستمر اليوم في الحكم على هذا الغرب كله من منظار عقدة شديدة العمق في أغوارنا. فلا يستطيع الفرد منا أن يذكر الغرب بدون أن يذكر تاريخ المجد الإسلامي في تلك القارة الغنية.

فالمسلمون الذين يقصدون أوروبا لأجل التعلّم والدراسة فيها يعتقدون بأنهم أصحاب حق في نهل هذه العلوم العلوم الغربية، اعتماداً على رأي مسبق يحملونه وهو أن لأجدادنا الفضل العلمي على الغرب كله، بل ويقول البعض اليوم إن الغرب أخذ من علومنا ماينفع ويفيد وترك لنا العادات والموروث الثقافي الذي لايفيده فوائد مباشرة.

لقد كانت عمليَّة النَّهل من جميع الثقافات المبثوثة فى العالم أمرًا محببًّا عند أجدادنا المسلمين وكانت جزءًا لا يتجزأ من تكوين الذات المجتمعية، حيث يبدو أيّ علم مبثوث فى الكون هو ملك الجميع، ولا ينحصر فى أحدٍ دون سواه. وذلك انطلاقاً من المفهوم القرآني للعلوم وللتعلّم. بينما اليوم يتخلّى بعض المسلمين عن علوم كثيرة، بل إنهم أحياناً لايعتبرونها علوماً. كعلوم الموسيقا والرسم الزيتي والنحت والأدب والمسرح والرقص.

وقد شكلّت حركة الترجمة والتأليف من قبل دورًا بارزًا فى نمو الحضارة العربية، فى ظلّ اجواء تفتّح ثقافيّ مميّزٍ ومبدع ، لم تخش فيه الذات العربية من "الغزو الفكرى أو الثقافى "، فلم يكن المترجم العربى وقتها يخشى على هويَّته من الضياع، بل كان يعدّ اى علم منتشر فى الإنسانية هو جزء من كينونته. وقد لعبت

اللغة دورًا محوريًّا فى هذا التواصل الحضارى والتفاعل الثقافي انعكس فى طريقة الترجمة نفسها، مما ميَّز المترجمين العرب بقدرة عالية على هضم النصوص المترجمة، وتطويعها، وإعادة انتاجها، بمفردات الثقافة العربية، حيث كان يبدو وكأن النص المترجم هو عربى الأصل والمنشأ والغاية والهدف، فقد كان المترجم يؤقلم النص ويضمّه إلى اللغة ويقضي على عناصر الغرابة فيه، الأمر الذى يوصف بابتلاع النص اسلوبًا ومضمونًا، بحيث يتم إدخال النصوص المترجمة فى دائرة الأنا "العربية" شعورًا بأنّ هذا النص هو ملكها ذائب فيها، لذلك فإنها فى مرحلة متقدمة تستغني عن "الأصل بلغته الأساسية" لأنها رقت به إلى لغتها وأصبح جزءًا من مفرداتها بل ويخدم أهدافها.

وفي هذا السياق كان المترجمون العرب والمسلمون يترجمون الأسماء فيعرّبون أسماء الأشخاص والمدن ويعرّبون المصطلحات ومفردات النظرية الجديدة التي يقومون بتعريبها.ويبتدعون مصطلحات جديدة.ولم تكن هناك خشية على تأثير النصوص على الفكر والعقيدة الإسلامية، فكانت الجرأة في ترجمة الفكر اليوناني الذي يحمل عقائد وثنية وإلحادية تؤله الأشخاص والأشياء كالشمس والقمر والرياح والنار. وتقدّس سلسلة طويلة من الأشياء.

وكان في تلك الفلسفات عقائد دينية وطقوس وعبادات كثيرة، لم يرَ المعرّبون فيها خطراً على الإسلام.بينما مسلمونا المعاصرون يرون أخطاراً على الدين والعقيدة في أفكار ومظاهر غربية شديدة الصغر كالخطر الذي رآه البعض في(لعبة باربي) فنحن في عصرنا الحاضر نفتقر لعملية الترجمة بكامل تفاصيلها. وقد وقف العرب تقريباً عند نتاج الغرب في سنوات الستينيات من القرن الماضي. اذ أنجزت ترجمات العظماء حتى ذلك التاريخ أمثال هوغو وراسين وفولتير وكانت وديكارت وبلزاك وكامو وغيرهم.

وترجمت روايات عالمية لأمثال آغاثا كريستي وغيرها. وتوقفت بعد تلك العقود أعمال الترجمة الحقيقية المستمرة. وفي هذه السنوات تصدر من هنا وهناك ترجمات قليلة ونادرة لبعض النتاجات الغربية. لكنها لاتغطي مجمل الحركة الثقافية

والفكرية والعلمية الغربية. هذا من ناحية الكم أما من الناحية التقنية فينقلب المشهد ويتحول من تفاعل إلى انفعال ومن "تواصل" إلى "انوصال" وتبعية بلهاء، ويصبح "التثاقف" فيه "انثقاف" ويغدو "التحاور" فيه "انحوار". فالعرب ينتقون ترجماتهم انتقاءً مزاجياً بحيث يتفق الموضوع المترجم مع وجهات النظر والإيديولوجيات والسياسات الشائعة فحسب. فقد ترجم غارودي لأنه يساند القضية العربية والإسلامية. ولأنه تحوّل إلى الإسلام. وترجم نعوم تشومسكي لأنه يعادي السياسات الأمريكية والإسرائيلية.

ولعلّ القاريء العربي المنحاز أيضاً هو الذي يشارك في اختيار الموضوع المترجم إلى العربية. وهذه الترجمات الانتقائية قليلة الكمّ والتنوع مقارنة مع النتاج الغربي والعالمي الكثيف. وفي المجالات العلمية كافة تندر الترجمات مما يجعلنا متخلفين علمياً عن العالم المعاصر. وتعاني الذات العربية اليوم انجراحًا عميقًا لم يجد ترياقه بعد، لذلك فإنها تلجأ إلى الماضى بقوّة تبحث فى التاريخ متمسكةً "بهويّةٍ مقدسةٍ خالدة" محدثة قطيعة حادّة مع غيرها من الذوات الحضارية، وفى الوقت عينه الذى تطلب فيه من الآخر الاعتراف الدائم بها. فعلى صعيد اللغة، نحن اليوم لا نشعر أننا نرقى بالنص عندما ننقله إلى العربية، ولا نشعر بذوبان النص المترجم فى ذواتنا، ويبقى بعيدًا غريبًا نافرًا عنا، بل وأبعد من ذلك، فنحن اليوم نرقى بالنص العربى عندما نترجمه إلى غير العربية! وهناك العديد من الكتّاب والمفكرين العرب ممن يعمد إلى الكتابة أو النشر الأول للكتاب بغير العربية، ثم يترجم كتابه ليقرأه العرب بعدما قرأه أبناء الغرب، لأن المرور عبر لغة الآخر هو الطريق المضمون للوصول إلى القارئ العربي! فلو أنّ هذا الكتاب الذي بين يديك الآن عزيزي القاريء كتب بلغة أوروبية وترجم إلى العربية لكان انتشاره العربي أكبر بكثير من انتشاره الحالي ككتاب عربي. هذا رغم أن الكتّاب والباحثين الغربيين لايفوقوننا قدرات ولا معرفة ولاخبرة.

وتكثر في نصوصنا العربية المفردات الأجنبية المنقولة بحرفيتها، ولكن ذلك إن دلّ على شيء، فإنه يدلّ على أن المثقف العربى اليوم لا يتكلم لغته إلا عبر لغة

أخرى، فهو بالتإلى لا يعترف بذاته إلا إذا اعترف بها الغير، وهو يمارس كلّ ذلك فى الوقت نفسه الذى يعمد فيه إلى إقصاء الآخر وإبعاده والتعامل معه على أساس أنه "غازٍ وشرير ومتآمر". فنحن اليوم لا نعيش حالة تفاعل حضاري، بل انفعال أشبه ما يكون بردّة فعل، لأننا لم نعد ندرك ذواتنا، إلا عبر إدراك الآخر لنا.

نجاح الإندماج في شرق آسيا

في عصور الفتوحات هاجر عدد من المسلمين إلى بلدان شرق آسيا واستوطنوا فيها (ماليزيا – أندونيسيا – الهند - الصين وغيرها)، واستطاعوا عبر العصور اللاحقة أن يتعايشوا بسلام ووئام مع أهل البلاد الأصليين.

والأهم من ذلك أنهم استطاعوا رغم قلة تعدادهم أن ينشروا الإسلام في تلك البلدان. وكان المسلمون أقلة في تلك البلدان فأوجدوا فكراً إسلامياً يتناسب مع وضعهم العددي والعرقي. لم يمارس أولئك الدعوة بالطريقة التي يمارسها الإسلاميون اليوم بل انعطف الناس نحوهم وأعجبوا بإسلامهم واعتنقوه.

ولم يعملوا بمنطق الجهاد الذي تعمل به القاعدة اليوم، وإلاَ فكانوا سيبادون بالكامل. وضع أولئك المسلمين الأقلة يشابه تقريباً وضع المسلمين الغربيين المعاصرين ومن هنا نشير إلى ضرورة الاستفادة من طريقتهم.

لنلاحظ أن الإسلام لم يباد ولم يحظّر ويمنع في شرقي آسيا كما حصل في التجربة الأوروبية. ولذلك فلم يخلّف ذلك الوجود الإسلامي أية عقدة ثقافية بين الشعبين الإسلامي والبوذي. فقد كان التسامح الديني متبادلاً بين الطرفين واستمر متبادلاً طوال القرون التالية. ولذلك فلم ينتج عن ذلك الحوار والتعايش صدام شبه أبدي كالصدام الذي نشأ بين الغرب والشرق.

obeikandl.com

المواطنة الإسلامية الحديثة في أوروبا

تجربة المواطنة الإسلامية الحديثة في أوروبا، بدأت فعلياً مع انتهاء الانتداب والاستعمار الغربي للبلدان العربية ومع انتهاء الحرب العالمية الثانية، وهي ماتزال مستمرة حتى يومنا هذا. وقد رحّب الغرب بالمهاجرين إليه وجعلهم أبناء مجتمعه بفضل المفاهيم الحضارية السائدة عنده. وقد ازداد عدد المسلمين في الغرب فأصبح خمسة ملايين في فرنسا تقريباً، وأصبح الإسلام هو الديانة الثانية فيه بعد المسيحية.

وتأتي اليهودية في الدرجة الثالثة رغم قدمها في أوروبا. وأصبح عدد مسلمي أوروبا الغربية حوالي خمسة عشر مليوناً. وإن هذه المواطنة الإسلامية في المجتمع الغربي المسيحي هي تجربتنا الثانية من نوعها عبر التاريخ الإسلامي. ويتوجب علينا بلاشك أن نصونها ونحافظ على تواجدنا هناك وأن نمتّن علاقاتنا مع أبناء الغرب المسيحي كي لاتفشل تجربتنا الثانية من نوعها.

وفي هذه التجربة الثانية حصل التمازج الاجتماعي والتبادل الثقافي والفكري بين الشعبين وتحاور الإسلام مع المسيحية، وتأثر المسلمون بالغرب وتأثر الغرب أيضاً بالمسلمين. كما وشغل المسلمون وظائف مهمة وأصبح لهم نفوذ سياسي ومالي واجتماعي. وظهر تأثيرهم على الانتخابات العامة فاحتاج إلى أصواتهم المرشحون للرئاسة. وقد سخّر أصواتهم جورج بوش وجاك شيراك. وفجأة تسممّ ربيع التجربة الإسلامية في الغرب، وجاء ذلك في أعمال العنف التي يقوم بها مسلمون متطرفون ومتعصبون. فنتج عنها اعتداءات على المساجد الإسلامية وعلى كنائس مسيحية عربية وعلى المسلمين أنفسهم. وذهب ضحيتها قتلى وجرحى عديدون. كما أدت تلك الاعتداءات إلى المراقبة الصارمة للهجرة العربية والإسلامية إلى الغرب. وإلى استصدار قوانين جديدة تحدّ منها. وإلى اعتبار الغرب للمواطنة الإسلامية في أرضه مشكلة تحتاج إلى الحل.

والحقيقة أن هناك إشكالية دائمة في تعامل المسلمين الأوروبيين مع الغرب وفي تعامل الغرب معهم. فلا أحد من الفريقين فهم الآخر أو استطاع التوصل إلى صيغة نهائية في التعامل معه. ورغم النجاح الظاهر في ظاهرة الإسلام الغربي فإن المسلمين

مـازالوا عـاجزين عـن الانفتـاح الحقيقـي علـى مجتمعـاتهم الـتي يقيمـون فيهـا، كمـا وتتسم مـواقفهم بـالخوف مـن الغـرب الـذي هـو مـوطنهم الفعلـي. إنهـم يعيـشون هنـاك بأجسادهم ويعيشون في بلدانهم الأصلية بأرواحهم.

بن لادن يدعو الأمريكيين لاعتناق الإسلام

دعا زعيم تنظيم القاعدة أسامة بن لادن الأمريكيين إلى قبول الإسلام لإنهاء الحرب في العراق.وأضاف مخاطباً الشعب الأمريكي في شريط بث في الثامن من أيلول ٢٠٠٧ أن هناك طريقين لإنهاء الحرب في العراق إما "تصعيد القتل والقتال ضدكم، أما الثاني فهو أن ترفضوا النظام الأمريكي وتقبلوا الإسلام". ويأتي طلب بن لادن للأمريكيين باعتناق الإسلام ليدلّ على معرفته بالغليان الإسلامي الكبير والإقبال على اعتناقه بكثرة في الولايات المتحدة ودول العالم كله. ومما لاشك فيه بأن طلبه هذا سيكون مؤثراً على شعوب العالم وسيكون له صدى واسع. وسيكون مساهمة حقيقية في انتشار الإسلام في العالم كله، فبن لادن هو اليوم أهمّ وسيلة إعلامية في العالم. ويكاد يهتم بخطابه غالبية شعوب العالم. حتى أولئك الذين يكرهون الشيخ بن لادن فسوف يصلهم خطابه وسيكون له تأثير ما في نفوسهم. وبن لادن نفسه يحمل عقدة الأندلس وأداؤه العام تجاه الغرب ودعوته الغربيين إلى الإسلام يدل على ذلك.

التصادم بين الحضارتين

يرى بعض المفكرين والمنظّرين الإسلاميين أن التصادم بين الإسلام والمسيحية الغربية أمر حتمي لامفر منه، وهؤلاء يقومون بتعميق الكراهية والفراق بين هاتين المنظومتين.بل ويقوم بعضهم بتحضير الرأي العام الإسلامي لخوض تلك المواجهة. ويقول الدكتور محمد عمارة: (الصراع بين الغرب والشرق واقع وقديم) (في الغرب ينشرون ثقافة الكراهية السوداء ضد الإسلام والمسلمين) ويسود هذا الرأي في

المجتمعات العربية الإسلامية، كما ونلاحظ انتشاره في بلدان إسلامية أخرى كماليزيا وأندونيسيا وباكستان.

وفي الوقت نفسه، نكتشف في الغرب المسيحي نفسه استعداداً كبيراً ورغبة عارمة للتحاور مع الإسلام والمسلمين. إذ لابد من الفصل بين الشعوب وبين حكامها، فحكّام الغرب يخوضون صراعات مع الإسلام لأنهم يتحركون ضمن منظومة صهيونية، وهذه المنظومة لاتلقى تأييداً في الشارع الأوروبي كله.كما يلاحظ في الغرب اهتمام كبير في التعرف على الإسلام، ودراسته ودراسة التاريخ الإسلامي والحضارة الإسلامية. واقبال على اعتناق الإسلام كدين سماوي وتوحيدي وحضاري. وبناء على تلك المعطيات يرى الباحثون الغربيون بأن لاصدام بين الحضارتين على الاطلاق، وأن المستقبل سيشهد حواراً متطوراً وتفاهماً أوسع بينهما.

صحيح أن الغرب كله يبحث اليوم عن الإسلام، ففي الأسبوع الذي تلا هجمات أيلول ٢٠٠١ بيعت هناك ملايين من نسخ الكتب التي تعرّف بالإسلام وتتحدث عنه. وكان ذلك تعبيراً عن الذهول الكبير الذي أصاب أبناء الغرب، وسعياً لإيجاد أجوبة عن الأسئلة الكثيرة التي طرحها كل المواطنين هناك. ترى ماهو هذا الإسلام الذي يجعل أشخاصاً أثرياء يعيشون في جبال أفغانستان ؟. ماهو الإسلام الذي يجعل أشخاصاً متمدنين يعيشون بيننا ويبدعون في دراسة الطيران ويقدرون على إجراء دراسات هندسية وعلمية عديدة لهذه الأبراج ثم يدمرونها في ساعة واحدة؟ ولأن الكتاب الأول الذي يقرأه الغربي لن يعطيه الجواب الكامل عن الإسلام. فإنه سيقرأ الكتاب الثاني ثم الثالث ثم عشرات الكتب وتلك في النهاية ستوصله إلى اعتناق الإسلام.كما نلاحظ في الفترة الأخيرة كثرة السياسيين الغربيين الناطقين باللغة العربية. ويقول ليفلي ماك أوخلاند، وهو أستاذ التاريخ الإسلامي في جامعة ايكس سيتر اللندنية: ".. نلاحظ إقبالاً بريطانياً شديداً ومتزايداً على دراسة الإسلام وتاريخه، ونلاحظ اهتماماً جاداً بالدين الإسلامي والحضارة الإسلامية. والبريطانيون يدركون أن القاعدة لاتمثّل المسلمين جميعاً. ونحن في هذا القسم توجّه إلينا باستمرار دعوات من كافة المناطق البريطانية لنحاضر فيها ولنعرفهم على الإسلام

وعلى أركانه وعقائده، وعلى التاريخ الإسلامي. وهذه الدعوات أصبحت شبه أسبوعية.ورغم أحداث الهجوم على قطارات لندن فقد ظلّ هذا الاهتمام قائماً، ولم يتأثّر بها..." وتتميز دراسة الإسلام بأنها كشراب البلسم الشافي، فمن بدأ يتعرف عليه يطلب المزيد من علومه، وكلما تعمّق في التعرف عليه كلما ازدادت قناعته به. ولن تؤدي دراسة الإسلام إلاّ إلى الإيمان به واعتناقه كدين. فإنّ أكثر المستشرقين الأوائل الذين بدؤوا بالتعرف على الإسلام اعتنقوه في نهاية المطاف.

لماذا تفشل المواطنة الإسلامية الحديثة في الغرب؟

يحمل المسلمون في وقت واحد رأيين متناقضين عن الغرب، ونرى هذا التناقض عند أغلب الأفراد تقريباً. وأما الرأي الأول فيتمثّل في الإعجاب الكبير بالغرب والانبهار به، والانبهار بكلّ ماحققه الغرب من علوم وصناعات وحريات فردية وديمقراطيات وغير ذلك. وهذا الرأي يتناقض مع الرأي الثاني الذي يحمله كثير من المسلمين والذي يتمثّل في معاداة الغرب واعتباره عدواً للعرب والمسلمين، ومغتصباً لأرضهم ولثرواتهم. وفي معاداة المسيحية الغربية عند البعض، وفي اتهام الغرب بالفوضى والانحلال والفساد الخلقي، ويتضخم هذا الاتهام عند البعض ليصبح اتهاماً بالجاهلية، واعتبار الغرب لايمثّل حضارة معاصرة على الإطلاق. وضمن أشكال الفهم هذه ينحصر تعامل المسلم مع الغرب. فالمسلم (العربي الذي نعرفه) يذهب إلى أوروبا ليأخذ منها مايريد هو أخذه، وبنفس الوقت ليترك أوروبا للأوروبيين. وسيحافظ على أسلوبه ورأيه هذا طوال عشرات السنين. ويستمر هذا العربي المسلم بالنهل الدائم من الثقافة العربية ويشمل ذلك ثقافة معادية للغرب ولمواقفه رغم أنه انتمى لذلك الغرب. وبذلك يعزز باستمرار انفصاله عن الغرب وعن المجتمع الذي يعيش هو بداخله.

ومن غرائب أخبار المسلمين في الغرب أن أحدهم ذهب يجلد زوجته في السويد. وآخر قام بختان ابنته في الولايات المتحدة، فقد قامت والدتها الغربية برفع دعوى على الزوج وحكم عليه بالسجن ست سنوات. ومن أسباب فشل المواطنة الإسلامية في

الغرب أيضاً، أن الغرب في حقيقته خال من القيم الإنسانية، بينما مواطنونا المسلمون مفعمون بها. فتسوء علاقتهم مع الغرب ككل نتيجة لذلك التناقض.

عجز المسلم عن الاندماج في المجتمع الغربي

الاندماج في المجتمع الغربي لايعني تخلي الفرد عن دينه وإسلامه، بل نقصد به أن يشعر الفرد بأنه مواطن وابن هذه الدولة التي اختار العيش فيها، وأن انتماءه لها أهم من انتمائه لبلده السابق. إن عجز المسلم عن الاندماج كبقية الشعوب الأخرى داخل المجتمع الغربي لايرتبط بتدين هذا الفرد، ولايرتبط بتعصبه لقوميته بل هو من نتاج الموروث التاريخي والاجتماعي الذي يحمله الفرد، ويتلخص هذا الموروث بعبارة واحدة (الشرق شرق والغرب غرب) وعمر هذا الموروث عشرات القرون. وهذا الموروث خفيّ لايراه المستشرقون أو الدارسون لمجتمعاتنا الإسلامية، ولذلك فإن معظمهم يخرجون بنتائج متفائلة للغاية، ويرون إمكانية التحاور اليسير بين الحضارتين. وتأتي تلك الاستنتاجات بعد محاوراتهم مع العرب المسلمين وبعد دراسة الإسلام وعقائده وأفكاره. ولأن الإسلام أكثر تطوراً وأكثر تنوراً من المسلمين أنفسهم، ولأن الإسلام لايتأثّر بالموروث التاريخي والاجتماعي ويبقى إسلاماً عظيماً شامخاً، فإن تعرف المستشرقين على الإسلام يجعلهم متفائلين للغاية. وليس الإسلام سبباً في عدم تمكّن المسلمين من الانفتاح على المجتمعات الغربية التي يعيشون فيها لأن الإسلام موجود هناك وليس نادراً ولأن المساجد قائمة والمسلمون موجودون في كل مدينة أوروبية تقريباً. بل إنّ غالبية المسلمين المغتربين لايحملون تجاه بعضهم البعض مشاعر الودّ والتعاون والتحالف والتفضيل، بل إنهم في أغلب الأحيان يحملون تجاه بعضهم البعض مشاعر البغض والمكر والحسد والعداء.!.وهذا يعني أنهم لايجعلون من العامل الإسلامي أساساً في مواقفهم وتعاملاتهم وحيواتهم اليومية.ويعني أيضاً أن مشكلاتهم مع المجتمع الغربي لاتتعلق بإسلامهم على الإطلاق.

نحن بحاجة ماسّة للغرب

نحن بحاجة ماسّة للغرب، وبحاجة للاستفادة من نتاجاته الحديثة كلها. فالغرب في الحقيقة مدارس وعلوم في السياسة والفنون والصناعة والفكر والإعلام والتكنولوجيا وغير ذلك. ونحن نمتلك فكراً إسلامياً وتاريخاً مجيداً نستطيع أن نقدمه للغرب. فهو بحاجة لبضاعتنا ونحن بحاجة لبضاعته. ومن هذا المنطلق تسقط كافة الدعاوى الطائفية والجهادية التي تسعى لتأجيج المواجهة مع الغرب. يطلق بعض المسلمين وخاصة المتطرفون شعارات معاداة الغرب، ومقاطعته، بل وتتطور الأزمة أكثر عند أفراد القاعدة الذين حاولوا إجراء فصل تام بين الغرب والشرق الإسلامي. ففي بياناتهم الكثيرة أمروا المسلمين المقيمين في دول الغرب بأن لايدخلوا المباني أو الأبراج أو القطارات وكادوا أن يأمروا المسلمين بالعودة إلى بلدانهم الإسلامية ليتم الفصل النهائي بين الغرب والشرق.

وإنّ أفراد القاعدة أنفسهم ورغم إعلانهم الصريح عن عدائهم للغرب وعن رغبتهم بتدميره. فهم شعروا باستمرار بحاجتهم للغرب نفسه ولنتاجه الصناعي والعلمي والتقني والفكري والمصرفي وغير ذلك الكثير.فعندما قاموا بتدمير مركز التجارة العالمي استخدموا الكومبيوتر والأنترنيت ودرسوا قيادة الطائرات وركبوا سيارات وقطارات وطائرات وكل ذلك من نتاج الغرب نفسه. وعندما نتأكد من أننا بحاجة لعلوم الغرب ونتاجه ندرك أهمية التحاور معه. وأهمية المصالحة معه، ونستبعد نزوة محاربته.

وفي مجتمعات الدول الإسلامية كلها يستفيد الفرد من نتاج الغرب كله. ففي هذا العصر استطاع الغرب أن يطوّر كافة العلوم ويصل بها إلى نتائج مذهلة. وصحيح أن فينا أطباء وفيزيائيين وفنانين وأدباء مبدعين ولكنهم جميعاً يستخدمون سلّم النتاج العلمي الحديث ويتحركون بواسطته ويتطورون من خلاله. فصحيح أننا نصنع السيارات في بلداننا، لكننا لأجل صناعتها نستخدم آلاف العناصر والمصنوعات والنظريات العلمية المستوردة من الغرب.

لكننا بهذا الجهاد السلمي اكتشفنا أن قتل الآخر ليس سوى عقبة وعرقلة لجهادنا هذا، ويصبح القتل جريمة تستهدفنا نحن المجاهدين الحقيقيين. وتستهدف أصدقاءنا المسلمين الآخرين والمسيحيين عرب وغربيين.

العلاقة المعقدة بين المسلمين والغرب

يمكن تلخيص العلاقة القائمة بيننا وبين الغرب من الناحية الثقافية والسياسية على الشكل التالي:

١. علاقة خصومة وكره وعداوة وعلاقة تحامل كل فريق على الآخر، وعلاقة حرب واسعة نراها في الكثير من البلدان الإسلامية.

٢. وبنفس الوقت فهي علاقة حاجة كل فريق للآخر. فنحن بحاجة ماسّة للغرب ولكلّ نتاجاته وهو بحاجة ماسّة لنا من نواح كثيرة. فالغرب بحاجة للمهاجرين المسلمين أنفسهم. ففي أواخر القرن الماضي، أعلنت الخارجية الكندية عن حاجتها لتوطين بضعة ملايين جدد من المهاجرين إليها. وجاء في الإعلان الحرص على أن يكون هؤلاء المهاجرون من المسلمين ومن الشرق الأوسط بالذات، نظراً لعدم إمكانية تفشي الإيدز في هذه الشعوب (وبالطبع فالتقرير يقصد بأن دينهم الإسلامي يمنعهم من الموبقات وينظّفهم ويطهّرهم.)

٣. وبنفس الوقت فهي علاقة انبهار كل فريق بالآخر. فالغربيون يقصدون الشرق باستمرار لينهلوا من ثقافاته وتراثه وعمرانه وهم مولعون بتاريخه وآثاره العريقة. ثمّ إنّ الغرب استعار ثقافة وفكراً من الإسلام وعمل بها بكلّ ثقة: وألبسها ثوباً جديداً فجعل بعضها بمثابة فكر مجدد ومطور للمسيحية الغربية، وجعل بعضها الآخر بمثابة فكر ثقافي حضاري ضروري للبشرية. وحول الانبهار ذكرنا أن بعض المسلمين هم انتحاريون في سعيهم للوصول إلى أوروبا فهذا الانبهار يصل إلى حدّ الانتحار والتضحية بالنفس مقابل التواصل مع الغرب.

٤. هي علاقة عقدة قديمة وحاضرة عقدة خصومة وعقدة عدائية.

obeikandl.com

٥. علاقة خوف كل فريق من الآخر. وهذا الخوف كما ذكرنا سابقاً يصل عند البعض لدرجة الرعب من الآخر.

٦. علاقة الرغبة الحقيقية الدفينة بالحوار مع الآخر.

٧. علاقة تبادل حقيقي قائم في كافة المجالات تقريباً.

وبالنتيجة فإن هذه العلاقة تحوي متناقضات كثيرة وتتّسم بالتعقيد، وتحتوي على عناصر علائقية لايمكن حلّ عقدها إلا بحوار جادّ ترافقه رغبة في التفاهم بين الطرفين، ولمّا كان النظام الغربي المسيطر على مقادير السلطة لايسعى للحوار الجادّ فيصبح من الضروري التحاور العربي الإسلامي مع هيئات ومنظمات مدنية تمثّل المجتمع والأفراد وتتجاوز السلطات الاستعمارية الغربية.

سلطة الإسلاميين

بعد حلم طويل دام قرابة القرن من الزمن، وبعد عمل فكري وتنظيمي وجهاد كبير استطاع الإسلاميون اليوم أن يكونوا المحرك الرئيسي للأحداث التي ترسم مستقبل الأمة الإسلامية.فهم القادرون اليوم على توجيه ورسم الحدث والمستقبل في لبنان والعراق وأفغانستان والصومال، وبعض الشيء في اليمن والسودان ومصر. إضافة لتحكمهم بمستقبل المسلمين في الغرب.فطوال القرن الماضي كان مفكروهم وقادتهم يحلمون بيوم واحد من السيطرة على الحكم ودفة الأحداث ويعدون الجميع بالعدالة والرفاه والأمان وبتطبيق عدل الله وشريعته.واليوم يتحكم الإسلاميون الشيعة والسنة في أحداث العراق وكانت منهم حرب إسلاموية إسلاموية، وطائفية وفئوية وتصفوية وعرقية. وبرزت أعمالهم كمشاريع إبادة قذرة تتناقض مع شريعة الله، وتبين أنهم عجزوا عن القدرة على إدارة أمور المسلمين منذ اللحظة الأولى لتسلمهم تلك الإدارة. وتشير تلك النتائج إلى أن الجماعات الإسلامية عجزت عن تطبيق الحل الديني الذي كانت منذ قيامها تسعى لترسيخه. وأنها بعجزها هذا إنما تستغني عن الحل الديني نهائياً وتلجأ إلى الحل العلماني الذي كانت تستنكره وتحاربه طوال عقود مضت. وإن الفترة الزمنية القصيرة القادمة

obeikandl.com

ستحدد المستقبل النهائي لتلك الحركات الإسلامية، ومستوى مناصرتها أو معاداتها في المجتمعات الإسلامية. فإن استمرت في مشروعات الاقتتالات الطائفية والعرقية وبذلك ستدفع الأمور دفعا نحو تعميق التمزقات الدينية والاجتماعية وزعزعة أسس الاستقرار العام، ومن ثم تجعل من المعطى الديني عامل تفجير للحمة الداخلية وتمزيق عرى السلم الأهلي بدل أن يكون عامل توحيد ورأب للتصدعات، عندئذ تثبت للمسلمين أنفسهم أن الإسلاميين عجزوا عن قيادة شعوبهم. وأن الإسلام عاجز بطبعه عن بناء أسس الإجماع العام. مما يؤدي إلى تحييد هذه الحركات الإسلامية نهائياً وطي صفحتها لزمن ليس بالقصير.بل ودفنها كما دفن العالم في حينه حركات كثيرة فاشلة. فحينما تعجز الحركات الإسلامية عن بناء المشترك ومد جسور التواصل بين الأفراد والمجموعات، وحينما تتحول إلى عامل تناحر وانقسام، فإن أتباعها هم قبل غيرهم أول من يؤسس شروط تجاوزها وإلغائها، ومن ثم يشرعون الباب واسعاً أمام الحل العلماني باعتباره الأقدر على ضمان السلم المدني واستعادة مقومات الوحدة وعوامل الانسجام الاجتماعي . وإن مدخل علاج الأحداث الطائفية لا يقوم على تأجيج هذه الصراعات وإنهاك الجسم الإسلامي. بل يكون بالالتزام بميزان العدل والإنصاف، وترسيخ عرى الوحدة بين مختلف المسلمين وانتماءاتهم المذهبية والقومية. ويلاحظ أن كثيراً من عمليات الاقتتال تحمل طابع التصفية العرقية والمذهبية، وهذا هو طابع الإبادة الجديد بكل مفاهيمه ومعانيه على شريعتنا وثقافتنا، وقد شاعت فلسفة الإبادة في الغرب على أيدي مفكرين يهود وصهاينة . فاعتنقت الصهيونية تلك الفلسفة، وروجتها في أوساط السياسة الغربية. وهاهي اليوم تغزو مجتمعاتنا الطيبة. لكن تلك المشاريع ستفشل ولاشك، وسيظل هناك سنة وشيعة وسلفية ومتصوفة، ومسيحية وعروبة وكردية وآشورية وغيره.